بيـــان مخـالفـــة الكـوثـــري لاعتـقـــاد السـلــف

بقـلــم

د. محمد بن عبدالرحمن آلخميّس

دار الفتح
الشارقة

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم اع ش / ١٤١٥
تاريخ ٢٦ / ٦ / ١٩٩٤

الناشــر

دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ ـ هاتف المكتبة : ٣٢٢٥٢٤-٦.
فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦-٠٦ ـ ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشـارقة ـ إ.ع.م

بيـــان
مخـالفـة الكوثـــري
لاعتـــقـاد الســـلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

إن الحمـد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

يا أيها الناس اتَّقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منهـا زوجهـا وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾.

يا أيهـا الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً

يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾.

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد :

كانت العرب وسائر الأمم قبل مبعث النبي، صلى الله عليه وسلم، في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وشرك، ووثنية، فمنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الجن والملائكة.

فهم كما قال الله عنهم :

﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرَّقوا دينهم

وكانوا شِيَعاً كل حزبٍ بما لديهم فرحون﴾(1).

وكما قال تعالى: ﴿**أفرأيتم اللات والعزَّى ومناة الثالثة الأخرى**﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿**ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيَّاكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**﴾(3).

وقوله تعالى: ﴿**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إيَّاه تعبدون**﴾(4).

كلهم في جاهلية، وضلال، وشرك، إلا أن بعضهم كان مستمسكاً بآثار الأنبياء، كبعض أهل الكتاب.

---

(1) سورة الروم، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(2) سورة النجم، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(3) سورة سبأ، الآية: ٤٠.

(4) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: **«إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب. .»**[1].

وفي هذا الظلام الحالك أشرق نور الإيمان بمبعث خاتم النبيين وسيد ولد آدم محمد، صلى الله عليه وسلم، بعثه الله بدين الإسلام الذي أصله التوحيد، كما بعث سائر الرسل بذلك: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلـه إلا أنا فاعبدون﴾**[2].

فدعا، صلى الله عليه وسلم، إلى التوحيد، وحارب الشرك بشتَّى صوره وأشكاله وأنواعه، ومكث

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: «الجنة» باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج ٤/**٢١٩٧** ح **٢٨٦٥** من طريق مطرف بن عبدالله بن الشخير عن عياض بن حمار المُجاشعي.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: **٢٥**.

رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى **توحيد الله وترك عبادة الأوثان والطواغيت**، والبراءة منها وممن عبدها، يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، مبشرًا من أطاعه بالجنة، ومنذراً من عصاه بالنار، وبعد مضي **ثلاث عشر سنة** من بعثته، عليه الصلاة والسلام، أذن الله له في الدفاع عن الحق بالقوة بعد إتمام إقامة الحجة عليهم، **فاستنارت القلوب بدعوته**، عليه الصلاة والسلام، إلى العقيدة الإسلامية الصافية النقية، وانقمع أهل الباطل، وتبددت ظلمات الجاهلية الأولى أمام عقيدة الإسلام الصريحة التي لا غموض فيها ولا إبهام؛ لموافقتها للفطرة السليمة النقية من الشوائب، **وكان المسلمون في الصدر الأول يأخذون عقائدهم من الكتاب والسنة رأساً**، ويرون فيهما الكفاية والشفاء، ولم يكونوا يرجعون في شيء من ذلك إلى موروثات

البشر من قضايا كلامية أو أفكار فلسفية .

يقول المقريزي :

(لم يكن عند أحدٍ منهم ما يستدل به على وحدانية الله - تعالى - وعلى إثبات نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، سوى كتاب الله)[1]، كان لهم من البصر بالدين وأساليب اللغة ما مكنهم من فهم نصوص الكتاب والسنة فهمًا صحيحًا، **ثم جاء بعد ذلك عصر** الفتوحات، فدخل في الإسلام كثير من أهل الديانات الأخرى من اليهود، والنصارى، والصابئة، وغيرهم، ومعهم ثقافاتهم الأجنبية، فاختلط بهم بعض المسلمين، وتأثروا بموروثاتهم وثقافاتهم، وخاصة بعد ترجمتها إلى العربية في عهد المأمون، وهذا واضح جليّ لكل من اطلع على كتب

---

(١) خطط المقريزي ٢/٣٥٦ .

أهل الكلام؛ فهي مليئة بالتأويلات الفاسدة، والأقاويل الضعيفة، والاصطلاحات المنطقية الفلسفية، والعبارات الجافة المعقدة المحشوة بالجدليات والمتناقضات، فليس فيها ما يروي غليلاً ويشفي عليلاً.

ولا شك أن القارىء الذكي الفطن ذا الفطرة السليمة والعقل السليم، فضلا عن المؤمن المستنير بنور الوحي يدرك فساد هذه الآراء، والمذاهب، والاصطلاحات الدخيلة، فلو أفنى الرجل عمره في قراءة كتب علم الكلام، والبحث فيما احتوته لخرج منها بالحيرة والأسى على ضياع العمر دون طائل يتمنى أنه لم يخض في غمار تلك الموروثات، **وفي بحر ذلك العلم** الذي سمّوه علم الكلام، واسمع إلى مقالة من دخل في هذه المتاهات، وشهد على نفسه شهادة صدق عن خبرة وتجربة.

قال الشهرستاني :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر
على ذقنه، أو قارعاً سن نادم[1]

وقال الرازي :

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وغاية دنيانا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقال[2]

---

(١) كتاب نهاية الإقدام ص ٣، والحموية ص ٩١.

(٢) الحموية ص ٩١، وكتاب تلبيس إبليس ص ٩٣، وفتح الباري (١٣/ ٣٥٠).

ولقد نشأ في الأمة الإسلامية بدع حمل لوائها أهل الجهل والهوى، كبدعة التكفير بالذنوب، وبدعة الإرجاء، وشر البدع الكلامية بدعة التعطيل، تعطيل الرب عما يجب له من الأسماء والصفات، تلك البدعة الموروثة عن اليهود، والصابئة، والفلاسفة، وكان الإمام فيها جَهْم بن صفوان الذي تنسب إليه الجهمية، بل تنسب إليه كل المعطلة من هذه الأمة، **ومن فروع هذه البدعة** بدعة القول بخلق القرآن، وهي التي امتحن أئمة السنة بسببها حين تصدوا لها بالمعارضة والنكير، ومن البلاء أن هذه البدع لم تزل موروثة في الأمة، **فصارت الأمة بها فرقاً**، كما أخبر الصادق المصدوق، صلى الله عليه وسلم، كل فرقة تدعو إلى طريقتها، وتنافح عن مذهبها وإلى جانب هذه الطوائف كانت الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، والتي تترسم خطى السلف الصالح من

الصحابة والتابعين، وهي الوارثة لعلمهم، والسائرة على مناهجهم، ولا تزال هذه الطائفة في الأمة كما أخبر الرسول، صلى الله عليه وسلم، فلم تزل الخصومة بين هذه الطائفة والطوائف المبتدعة قائمة إلى يومنا هذا. **ومن خصوم هذه الطائفة في هذا العصر**، ومن أئمة المبتدعين والمعطلة لصفات رب العالمين، **الأستاذ محمد زاهد الكوثري**.

كسب كثيراً من الأنصار من أهل الأهواء والأغراض، لاطلاعه الواسع وسحر بيانه وجرأته فعظمت الفتنة به، فهو في نظرهم: «**إمام العصر**»، و«محقق العصر»، و«بقية السلف الصالح»، و«إمام من أئمة المسلمين»، و«المفكر العبقري»، و«المناظر الذي لم يقهر قط في حياته»، و«سيف الله المسلول على رقاب الملاحدة والفرق الضالة»، و«أقدر ناصر ومناضل عن السنة النبوية»، و«أبرع محامٍ وحارس

للعقائد الدينية الصحيحة»، (وكانت هجرته من تركيا إلى مصر أروع هجرة في العزة والكرامة).

ولإبراز هذا الرجل على حقيقته لا سيما وأن كثيراً من طلبة العلم لا يعرفون عن عقيدته شيئاً اللهم إلا على سبيل الإجمال، رأيت الكتابة في عقيدته، مع بيان موقفه من عقيدة السلف وأئمة السنة، وذلك بعرض أقواله مأخوذة من مصادرها من كتبه التي وقفت عليها، وسأقوم بالتعليق على بعضها على وجه الاختصار؛ إذ المقصود إعلام القارىء على عقيدة الكوثري، وموقفه من أهل السنة من خلال نصوصه؛ فإن كثيراً من الأقوال الباطلة تصورها كافٍ في العلم ببطلانها، ولأن آراء الكوثري ليست بدعاً من آراء أهل الكلام، بل هي آراؤهم، بل هي نفس آرائهم، التي ردها الأئمة عليهم، وفندوها، فلا أطيل بمناقشتها، ومن أراد الوقوف على نقض هذه

المذاهب فليراجع ما كتبه أئمة الإسلام، كالدارمي في كتابيه: «الرد على الجهمية»، و«الرد على بشر المريسي»، وابن قتيبة في كتابيه: «تأويل مختلف الحديث»، وكتاب «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة»، والبخاري في كتابيه: «التوحيد وخلق أفعال العباد»، و«الرد على الجهمية»، وغير ذلك من المصنفات السلفية.

ويتألف هذا **البحث** من: تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما التمهيد فهو: تعريف موجز بالأستاذ الكوثري.

وأما المبحث الأول: ففي عقيدته في التوحيد.

أما المبحث الثاني: ففي عقيدته في الإيمان.

وأما المبحث الثالث: ففي موقفه من عقيدة السلف وأئمة السنة.

وأما المبحث الرابع: ففي المقارنة بين عقيدة الإمام أبي حنيفة والأستاذ الكوثري في التوحيد والإيمان.

وفي الخاتمة أذكر خلاصة ما توصلت إليه من نتائج، وسأقف من الرجل موقف الحياد والإنصاف، فلا غلو ولا تقصير؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿**وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين لله شهداء بالقسط**﴾[2].

والرجل قد أفضى إلى ربه؛ فلست أحاكم شخصه بل ما سطره في كتبه.

وأخيرا بهذا الجزء المتواضع لا أدعي أني قد وفيت الموضوع حقه، واستكملت جميع جوانبه، ولكن حسبي أني لم أدخر في سبيل ذلك وسعاً، فإن وفقت

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

إلى ما هو الحق والصواب فذلك هو مقصدي وغاية مناي، فالحمد لله سبحانه، فله الفضل وحده والمنة وأستغفره من كل خطأ وزلل، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التعريف بالكوثري

هو محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري نسبة إلى أحد أجداده «كوثر» أو إلى قرية (**الكواثرة**) بضفة نهر شبز ببلاد قوقاز، **وقاعدة النسبة ترجح الأول،** ولد ونشأ في قرية من أعمال (**دوزجة**) بشرق الآستانة وتفقه في جامع الفاتح بالآستانة، ودرس فيه، وتولى رياسة مجلس التدريس، واضطهده (**الاتحاديون**) خلال الحرب العالمية الأولى، لمعارضته إياهم، فأريد اعتقاله، فركب إحدى البواخر إلى الاسكندرية سنة ١٣٤١هـ، وتنقل زمناً بين مصر والشام، ثم استقر في القاهرة موظفاً في (**دار المحفوظات**) يترجم ما فيها من الوثائق التركية إلى العربية، وكان يجيد التركية والعربية

والفارسية والجركسية، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ.

ومن تأليفه: «تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب»، و«النكت الطريفة في التحديث عن ردود ابن أبي شيبة على أبي حنيفة»، و«الاستبصار في التحديث عن الجبر والاختيار». و«كتاب ناظرة عابرة في الرد على من أنكر نزول عيسى عليه السلام»، أجاد فيه وأفاد ولكنه ناقض فيه نفسه خاصة والماتريدية عامة حيث أن منكري نزول عيسى عليه السلام استدلوا بقواعد أهل الكلام منها أن أحاديث النزول أخبار آحاد ظنية لا تثبت بها العقيدة فشن الكوثري غاراته على إبطال هذه القاعدة وصرح أن هذه القاعدة لأهل البدع أرادوا بها هدم الإسلام، فحكم على أهل الكلام بأنهم هدموا الإسلام، وغير ذلك من المصنفات[1].

---

(١) انظر الأعلام للزركلي ٦/ ١٢٩ بتصرف.

المبحث الأول

عقيدته في التوحيد

أولا: توحيد الأسماء والصفات:

أ ـ صفة العلو: يذهب الكوثري في صفة العلو مذهب الجهمية المعطلة، وهو نفي علو الله تعالى بذاته فوق خلقه، ويرى أن الله لا داخل العالم ولا خارجه[1]، وحرف نصوص صفة العلو إلى علو الشأن[2]، وعلو القهر والغلبة[3]، فقد قال: (والمراد بالفوقية: فوقية العزة والقهر والتنزه، «**والله فوق ذلك**»

---

(١) كتاب تبديد الظلام ص ٣٥، ٧٨.

(٢) كتاب تبديد الظلام ص ٨٨.

(٣) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٦.

في حديث الترمذي بمعنى: أنه يعلو على مدارك البشر؛ بدليل ما في سنن الترمذي أيضًا من حديث: (لو دليت)، قال ابن جهبل: (الفوقية ترد لمعنيين أحدهما: نسبة جسم إلى جسم، بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل، بمعنى: أن أسفل أعلاه من جانب رأس الأسفل، وهذا لا يقول به من لا يجسم. وثانيهما: بمعنى الرتبة، كما يقال: الخليفة فوق السلطان، فوق الأمير. . . .

قال الكوثري بعد ذلك: (فظهر بطلان التمسك بكلمة «فوق» في الآيات والأحاديث في إثبات الجهة له تعالى، تعالى الله عن مزاعم المجسمة)[1].

وقال في موضع آخر: (أهل السنة خصوم كل مجسم وزائغ، وهم يقولون: إنه لا يقال: إن الله في

---

(١) الرد على نونية ابن القيم ص ٨٨.

داخل العالم، كما لا يقال: إنه خارج العالم، ولا أنه مستقر على العرش؛ لأن ذلك لم يرد في الكتاب ولا في السنــة؛ ولأن ذلـك شأن الأجسـام، ومن جوز في معبوده الدخول والخروج والاستقرار فهو عابد وثن) [1].

ويقول عن السلف : الذين أثبتوا علو الله على خلقه واستواءه على عرشه: (لا حظ لهم في الإسلام، غير أن جعلوا صنمهم الأرضي صنماً سماوياً) [2]. وهذا منـاقض كل المناقضة لمذهب أهل السنة والجماعة، فقد تظافرت دلالة الفطرة والشرع على إثبات علو الله على خلقـه، وفي تقـرير دليل الفـطرة يقـول **الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة**: (أجمع الخلق جميعاً أنهم إذا دعوا الله رفعوا أيديهم إلى السماء، فلو كان الله عز

---

(١) الرد على نونية ابن القيم ص ٣٥.

(٢) تبديد الظلام ص ٣٥.

وجل في الأرض السفلى ما كانوا ليرفعوا أيديهم إلى السماء، وهو معهم في الأرض، ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش، فاستوى عليه بذاته، ثم خلق الأرض والسماوات، فصار من الأرض إلى السماء، إلى العرش، فهو فوق السماوات، وفوق العرش بذاته، متخلصاً من خلقه بائن منهم علمه في خلقه لا يخرجون من علمه)[1].

وقال ابن أبي شيبة: «وذكروا أن الجهمية يقولون: ليس بين الله عز وجل وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش، وأن يكون هو فوقه وفوق السماوات، **وقالوا**: إن الله فى كل مكان»[2].

وقال الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرين، نقول: إن الله تعالى على عرشه، ونؤمن بما ورد في

---

(١) كتاب العرش لابن أبي شيبة ص ٥١.

(٢) كتاب العرش لابن أبي شيبة ص ٤٩.

السنة الصحيحة من صفاته»[3].

قال ابن تيمية «وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله عز وجل فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك»[2].

وقال عبد اللّه بن المبارك : «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته، على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية»[5].

وأقوال السلف في ذلك كثيرة : ولو أردت إحصاء أقوالهم لطال بنا المقام، ولكن أحيل **القارىء الكريم** إلى كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية» للعلامة ابن القيم، وكتاب «العلو» للحافظ الذهبي، فقد نقل

---

(١) الأسماء والصفات ص ٤٠٨، فتح الباري ١٣/٤٠٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٣٩.

(٣) الرد على الجهمية للدارمي ص ٦٧.

عن أكثر من مائة إمام من أئمة المسلمين كلهم يصرحون بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وكذا الأدلة على علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه كثيرة جدّاً، وقد تتبعها بعض أئمة السنة فوجدها أكثر من ألف دليل[1].

فالحاصل **أن مذهب الكوثري مخالف للأدلة** الشرعية، وللفطر السليمة، ولإجماع بني آدم[2]، ويلزم أن يكون الله معدوماً ممتنعاً.

ب ـ صفة الاستواء:

تابع الكوثري الجهمية، فعطل صفة الاستواء، وحرف نصوصها، ويدعي أن الاستواء في كلام العرب يأتي في خمسة عشر معنى، فقد قال:

---

(١) انظر الجواب الصحيح ٣/ ٨٤، الصواعق المرسلة ٤/ ١٢٧٩.

(٢) نقض المنطق ص ٥٥، مجموع الفتاوى ٤/ ٦١.

(وللاستواء في كلام العرب خمس عشرة معنى ما بين حقيقة ومجاز، منها ما يجوز على الله، فيكون معنى الآية، ومنها ما لا يجوز على الله بحال، وهو ما إذا كان الاستواء بمعنى التمكن، أو الاستقرار، أو الاتصال أو المحاذاة)[1].

وعلق في حاشية على كتاب «الأسماء والصفات»[2] أقوال المعطلة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ من تلك التأويلات التي نقلها: الملك، واستئثار الملك، واستواء الحكم، والاستواء المجرد عن معنى المغالبة، والإقبال والقصد، والاتقان، وعلو العظمة والعزة، وعلو القهر والغلبة.

وقال: (من فسر الاستواء بالعلو الحسي،

---

(١) مقالات الكوثري ص ٢٩٤، ٣٠٣، وانظر كذلك الأسماء والصفات ص ٤٠٥ - ٤٠٦ طبع دار إحياء التراث العربي، وص ٤٠٩ ط دار الكتب العليمة.

(٢) ص ٤٠٥ - ٤٠٦ وانظر الرد على النونية لابن القيم ص ١١١ - ١١٢.

والاستقرار، والقعود، والجلوس، ونحو ذلك فقد جسم معبوده فى المعنى وإن لم ينطق بلفظ الجسم)[1].

ثم قال بعد ذلك : (وهذا كله في غاية الظهور، وإن كان يخفى على أدعياء السلف من مشبهة العصر)[2].

وحرف مقالة الإمام مالك المشهورة في «الاستواء» تحريفاً لفظيّاً فقد حرفها إلى هذا اللفظ : (الكيف مجهول والاستواء غير معقول) [3] .

كما حرفها تحريفا معنويا حيث قال : (قال مالك وغيره : إن الاستواء معلوم، يعني : مورده في اللغة معلوم)[4].

---

(١) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٧ .

(٢) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٧ .

(٣) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، وفي ط دار الكتب العلمية ١٠٩ .

(٤) مقالات الكوثري ص ٢٩٤ .

وهـذا مناقض لمذهب السلف، فهم يعتقـدون ويشهدون بأن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سماواته على عرشه كما نطق به كتابه[1]، فإن الله تعالى انتهى إلى إنه استوى على العرش، ولم يذكر كيف كان استواءه[2].

وقد وصف الله نفسه بأنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه، منها قول الله تبارك وتعالى: **﴿إنَّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾**[3].

وقوله تعالى: **﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾**[4].

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١٤

(٢) اعتقاد أئمة أهل الحديث ص.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٢.

ووصفه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بأنه استوى على العرش كقوله، صلى الله عليه وسلم : «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»[1].

وقد عقد الإمام أحمد بن حنبل بابًا في كتابه «الرد على الجهمية» **فقال**: (بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على عرشه) ورد فيه زعمهم أن الله في كل مكان بذاته.

كما رد ابن قتيبة في كتابه: (الاختلاف في اللفظ والرد على المشبهة والجهمية) تفسيرهم ﴿**استوى**﴾ بالاستيلاء.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ٣٨٤/١٣ ح ٧٤٠٤، من طريق أبي صالح عن أبي هريرة، ومسلم كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٢١٠٧/٤ ح ٢٧٥١، من طريق الأعرج عن أبي هريرة

كما عقد الإمام أبو سعيد الدارمي في كتابه: «الرد على الجهمية» باباً في (استواء الرب تبارك وتعالى على العرش) أتى فيه بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف في إثبات استواء الله على عرشه، وردَّ على المعطلة.

فالحاصل: أن مذهب الجهمية مخالف لصريح نصوص الكتاب والسنة، ولإجماع سلف الأمة.

جـ ـ صفة النزول:

تابع الكوثري الجهمية، فعطل صفة النزول، وحرف نصوصها إلى نزول الملك[1]، أو نزول

(١) مقالات الكوثري ٣٤٩، تبديد الظلام ٥٣، ٩٠، وتعليقاته على كتاب الأسماء والصفات ٤٤٩ ـ ٤٥٠ وتعليقاته على كتاب التنبيه والرد ص ١٩٠.

أمـره[1]، أو نزول قدرته[2] وحرف حديث النزول: يُنْزل) بضم الأول.

قال في حاشية كـتاب «الأسـماء والصفات» للبيهقي: (وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول، أي: يُنْزِل ملكاً، يقويه حديث النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يمهل، حتى يمضي شطر الليل الأول، ثم يأمر منادياً يقول: هل من داعٍ فيستجاب له؟**.. إلى أن قال: وأما من جعل ذلك نقله فقد جسم، وخالف البرهان العقلي والدليل الشرعي وضرورة الحس)[3].

---

(١) كتاب تبديد الظلام ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) كتاب تبديد الظلام ٥٣، وتعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٤٨.

(٣) ناشية الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ٤٤٩.

وقال الكوثري كذلك : (من حاول أن يستدل على إثبات الحركة لله تعالى بحديث «النزول» تغافل عن الدليل العقلي القاضي باستحالة ذلك على الله، مما يحتم الحمل على الإسناد على السبب الآمر، أو المجاز في الطرف، وتجاهل اختلاف الروايات في النزول من «إنزال» و«تنزل» وغير ذلك ومعانيها بلسان العرب، وتغاضى عن حديث النسائي الدال على إنزال ملك ينادي في الثلث الأخير من الليل المعيّن لإرادة الإسناد المجازي من قائله، صلى الله عليه وسلم).

وهذا عين المناقضة لمذهب أهل السنة والجماعة فأثبتوا النزول على ما قاله الرسول، صلى الله عليه وسلم، ولم يعتقدوا تشبيهاً لنزول خلقه، وعلموا، وتحققوا، واعتقدوا أن صفات الله سبحانه وتعالى لا

تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق[1].

وقد عقد الإمام أبو سعيد الدارمي في كتابه «الرد على الجهمية» باباً في النزول أتى فيه بالأدلة من السنة وأقوال السلف.

وكذا الآجري في كتاب **«الشريعة»** عقد باباً خاصًّاً لإثبات النزول، فقال: (باب الإيمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، ثم قال: والإيمان بهذا واجب لا يسع المسلم العاقل أن يقول كيف ينزل؛ ولا يرد هذا إلا المعتزلة)[2].

وقد رد شبه الجهمية شيخ الإسلام ابن تيمية في

---

(١) اعتقاد السلف أصحاب الحديث ص ٤٢.

(٢) كتاب الشريعة ص ٣٠٦.

مؤلف مستقل، وهو «شرح حديث النزول»، وقد وفقني الله لتحقيقه وهو مطبوع.

وقال علي بن عمر الحربي: (فإن قيل يُنْزِل أو يتنزل؟ قيل: ينزل بفتح الياء وكسر الزاي، ومن قال: «يُنْزِل» بضم الياء فقد ابتدع)[1].

فالحاصل: أن مذهب الجهمية مخالف للأحاديث المتواترة الدالة على نزول الرب تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا [والحديث المتواتر] قطعي عند الكوثري[2].

د ـ صفة اليدين:

يذهب الكوثري في صفة اليدين مذهب الجهمية المعطلة فقد عطل صفة اليدين وحرف نصوصها إلى

---

(١) الحجة ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩

(٢) تبديد الظلام ٥٢، ١٢١، ١٣٣، ١٥٢

العنـاية الخـاصـة بدون توسط، أو المراد من اليد: القـدرة، فقـد قال **معلقـاً** على كتـاب «الأسـماء والصفات» على قول البيهقي (باب ما جاء في إثبات اليدين، قال الكـوثـري: (وذلـك كله عبـارة عن القـدرة، وضرب الله اليد مثلاً، إذ هي آلة تصرف عندنا، والمحاولة)[1].

وقال معلقاً على قول الله تبارك وتعالى: (**خلقت بيديَّ**) أي بعناية خاصة بدون توسيط أب)[2].

وهذا مناقض لمذهب أهل السنة والجماعة، فقد أثبتوا صفة اليدين كما جاءت بها النصوص، ومن لم يحملها على الحقيقة عندهم فهو معطل كما قال الإمام أبو حنيفة[3].

---

(١) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٣١٤.

(٢) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٣١٧.

(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.

وقد عقد الإمام البخاري - **رحمه الله تعالى - في** كتاب «التوحيد» من ضمن الصحيح أورد فيه جملة من الأحاديث الصحيحة تثبت صفة اليدين لله تعالى، وهو باب قول الله تعالى: **(لما خلقت بيدي)**.

منها: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «**يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء**[1] **بالليل والنهار...**»[2].

وكذا عقد الإمام الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن منده في «الرد على الجهمية» بابًا فيه: (ذكر قول الله عز وجل: «**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**» أتى فيه بالأدلة من الكتاب والسنة ورد على المعطلة.

---

(١) سحاء: السح هو الصب الدائم انظر النهاية ٢/٣٤٥.

(٢) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي) ١٣/٣٩٣، ح ٧٤١١ من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

هـ - صفة الكلام:

تابع الكوثري الجهمية في تعطيل صفة الكلام، والقول بخلق القرآن، وحرف نصوصها إلى الكلام النفسي، **فقد قال**: (إن القول بخلق القرآن إنما يكون ضلالاً إذا أريد به ما هو قائم بالله سبحانه وتعالى، وهو الكلام النفسي.

وأما الحروف والأصوات في ألسنة التالين والزاج والعفص والمداد والنقوش في أوراق المصاحف، والحروف المتخيلة في أدمغة الحفاظ فمحدثة مخلوقة حتماً، وادعاء عكس هذا مكابرة وزيغ مبين)[1].

وقال كذلك: (والواقع أن القرآن في اللوح وفي لسان جبريل، صلى الله عليه وسلم، وفي لسان النبي، صلى الله عليه وسلم، وألسنة التالين

(١) تأنيب الخطيب ص ٩٦ - ٩٧، وأنظر تعليقه على كتاب تبيين كذب المفتري ص ١٥

وقلوبهم، وألـواحهم مخلوق حادث محدث ضرورة، ومن ينكـر ذلـك يكون مسفسطاً، ساقطاً من مرتبة الخطاب، وإنما القديم هو المعنى القائم بالله سبحانه وتعالى بمعنى الكلام النفسي في علم الله جل شأنه في نظر أحمـد بن حنبـل، **وقـد صح عن أحمد قوله في المناظر**: (القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق)، أو بمعنى صفة الكلام القائمة بالله تعالى كقيام صفة العلم ونحـوها جل شأنه، على تقدير ثبوت إطلاق القرآن عليها، فدلالة القرآن على المعنى القائم بالله بالاعتبار الأول، دلالة اللفظ على مدلوله الوضعي، ويشمل وجوده العلمي اللفظ والمعنى في آن واحد، لأن كليهما في علم الله، ودلالته على الصفة القائمة به سبحانه وتعالى ـ بالاعتبار الثاني ـ تكون دلالة عقلية، كما لا يخفى)[1].

---

(١) مقالات الكوثري ص ٢٧، وانظر الترحيب ص ٣٠١.

وقال الكوثري في الترحيب : (أم القرآن في ألسنة التالين ومصاحف الخطاطين، وأذهان الحفاظ، فالأول غير مخلوق جزمًا، والثاني مخلوق حتمًا عند أهل الحق)[1].

فصرح بأن القرآن في اللوح المحفوظ، وفي لسان جبريل، وألسنة سائر الناس، وقلوبهم، وأصواتهم مخلوقة، كما أنه لا يرى جواز سماع كلام الله تعالى، فلم يسمع منه جبريل لأن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا بصوت، إنما هو معنى قائم بنفس الله، **قال**: (والصوت سواء كان من جهة، أو الجهات كلها حادث مخلوق، لا يقوم بالله سبحانه وتعالى، **وفي طبقات الحنابلة** لأبي الحسن بن أبي يعلى عند ترجمة الأصطخري في صدد ذكر عقيدة أحمد: (وكلم الله

---

(١) الترحيب ص ٣٠١.

موسى تكليماً من فيه، وناوله التوراة من يده إلى يده ومن هذا يعلم مبلغ ضلال هؤلاء المجسمة)[1].

بل يعترف الكوثري أنه ليس بينه وبين المعتزلة خلاف في كون القرآن مخلوق[2]، حيث نقل قول التفتازاني محتجّاً به فقال: (النزاع بيننا وبين المعتزلة وهو في التحقيق عائد إلى إثبات كلام النفس ونفيه، وأن القرآن هو أو هذا المؤلف الذي هو كلام حسيّ أولاً؟ فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي، ولا لهم في قدم النفسي لو ثبت)[3].

وهذا مناقض مذهب سلف الأمة وأئمتها، الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة، وهو أن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو

---

(١) تعليق الكوثري على كتاب الإنصاف ص ٩٥.

(٢) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٢٥١.

(٣) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٢٥١.

المتكلم بالقرآن، والتوراة، والإنجيل وغير ذلك من كلامه، ليس مخلوقاً، منفصلاً عنه، بل سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، ولم يقل أحد منهم: إن القرآن والتوراة والإنجيل لازم لذاته أزلاً وأبداً[1].

وقد عقد الإمام أحمد في كتابه: «الرد على الجهمية» باباً في (بيان ما أنكرت الجهمية، من أن يكون الله كلم موسى) وباباً في (ما ادعت الجهمية من أن القرآن مخلوق).

وكذا الإمام ابن خزيمة، فقد عقد في كتابه «التوحيد» باباً سمّاه: (باب من الأدلة التي تدل على أن القرآن كلام الله الخالق)، وقوله: «غير مخلوق» لا كما زعمت الكفرة من الجهمية المعطلة.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٧ ـ ٣٨.

ثانيا: موقفه من توحيد الألوهية

اعتنق الكوثري بعض الخرافات القبورية، والبدع الشركية وهي:

أ - **جواز بناء المساجد على القبور** وأنه أمر متوارث كما في مقالاته[1]، وهذا خلاف الأحاديث الصحيحة في النهي عن بناء المساجد على القبور.

ب - **جواز إيقاد السرج والشموع على القبور**، تعظيماً لروح الولي المشرقة على تراب جسده، كإشراقة الشمس على الأرض، إعلاماً للناس أنه ولي، ويدعون عنده فيستجاب لهم، كما في مقالاته[2].

جـ - **جواز الصلاة في مسجد جعل على قبر رجل**

(١) مقالات الكوثري ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) مقالات الكوثري ص ١٥٨.

صالح؛ بقصد التبرك بآثاره، وإجابة دعائه، كما في المقالات[1].

د ـ جواز الاستعانة بتلك النفوس الخيرة في استنزال الخيرات، واستدفاع الملمات للنفس، وللنفس بعد المفارقة تعلق ما بالبدن، وبالتربة التي دفن فيها[2].

هـ ـ وأن تلك الأرواح لها آثار في أحوال العالم فهي المدبرات أمراً، كما في رده على نونية ابن القيم[3] وكما في المقالات[4].

و ـ وأن زيارة مراقد الأولياء معدة لفيضان أنواع

---

(١) مقالات الكوثري ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) كتاب تبديد الظلام ص ١٦٢ ومقالات الكوثري ص ٣٨٥.

(٣) كتاب تبديد الظلام ص ٦١.

(٤) ص ٣٨٢.

كثيرة منهم على الزائرين، كما يشاهده أهل البصائر[1].

ز ـ وأن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء، وانكشف لها عالم الغيب كما في مقالاته[2].

ح ـ جواز نداء الرسول، صلى الله عليه وسلم، بعد موته لتفريج الكربات وجواز التوسل بذاته[3].

ط ـ وأن التوسل عند الكوثري هو توسل بذات الولي وشخصه في حضوره، وغيبته[4]، وبعد موته.

ي ـ وأن الفرق بين التوسل بالنبي، صلى الله عليه وسلم، في حياته، وبعد مماته، مأخوذ من اليهود كما في الرد على نونية ابن القيم[5].

---

(١) كتاب تبديد الظلام ص ١٦٢ ومقالات الكوثري ص ٣٨٦.

(٢) مقالات الكوثري ص ٣٨٣.

(٣) مقالات الكوثري ص ٣٨٩ ـ ٣٩١.

(٤) مقالات الكوثري ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩، ٣٨٦.

(٥) تبديد الظلام ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

ك ـ **وأن عدول عمـــر ـ رضي الله عنـــه ـ عن التـــوســـل** به، صلى الله عليه وسلم، إلى التـوسـل بالعباس لم يكن لأجل أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، لا يسمع النداء كما في مقالاته [1].

ل ـ **وأن الأموات عنده يسمعون**، وأن آيات نفي سماع المـــوتى إنـــما هي في حق المشركـــين، كما في مقالاته [2] **ليندرج بذلك** نداء الأموات.

م ـ **تبجيل قصيدة البردة للبوصيري الصوفي** [3].

ن ـ **يدافع عن ابن عربي [4] وابن الفارض [5]** وهم

(١) مقالات الكوثري ص ٣٨٠.

(٢) مقالات الكوثري ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

(٣) ترجمة الكوثري لأحمد خيري ص ٥٢.

(٤) هو محمـد بن علي الـطائي قال عنـه الـذهبي: «ومن أردإ تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر». توفي سنة ٦٣٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨، واللسان ٥/ ٣١١.

(٥) هو عمر بن علي الحموي المعروف بابن الفارض المتوفى سنة ٦٣٢هـ، قال =

أهل الاتحاد[1].

ص - ويشن الغارة على برهان الدين البقاعي[2] لأجل تكفيره لابن عربي.

قلت: هذا طامات الكوثري وخرافاته القبورية، وهو بهذا تجرد للدعوة لعبادة القبور؛ ليعيد الوثنية الأولى في الإسلام، وما تقدم ذكره مخالف لكتاب الله وسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعقيدة سلف الأمة، بل مخالف لعقيدة كبار أئمة الحنفية، **فقد أجمعوا على تحريم بناء المساجد على القبور،**

= عنه الذهبي: «صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية»، فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال». انظر ترجمته سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦٨، واللسان ٤/٣١٧.

(١) مقالات الكوثري ص ٣٤٠ - ٣٤١، ومقدمته لكتاب منية الألمعي ص ٧.

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ، مؤلف «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» أو «مصرع التصوف»، ترجمه في نظم العقيان ٢٤، والضوء اللامع ١/١٠١، وشذرات الذهب ٧/٣٣.

وقالوا: ويسنم القبر، ويسوى عليه اللبن، لا الآجر، ولا يجصص، ولا يبنى عليه، انظر تفصيل ذلك في كتـاب الإمام البركوي الحنفي في «**الزيارة الشرعية والشركية**»، وكتاب: «**مجالس الأبرار**» لأحمد الرومي الحنفي، وكتاب: «**بيان الشرك ووسائله**» عند أئمة الحنفية لمؤلف هذا الكتاب.

المبحث الثاني

الإيمان

أ - حقيقة الإيمان:

الإيمان عند الكوثري هو: العقد الجازم[1]، والأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان، لا شرط ولا شطر[2].

فقد قال : «إن الأعمال من كمال الإيمان، لا أنه جزء منه ماهية الإيمان، لئلا يلزم الانزلاق إلى مذهب المعتزلة والخوارج»[3].

---

(١) انظر كتاب التأنيب ص ٦٠، ٦٦.

(٢) انظر كتاب التأنيب ص ٦٠، تعليقات الكوثري على كتاب التنبيه والرد ص ٤٨، وتعليقاته على كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣.

(٣) تعليق الكوثري على كتاب التنبيه والرد ص ٤٨.

وقال في موضع آخر: «العقد الجازم لا يحتمل النقيض، وعدّ العمل ركناً يجر إلى معتقد الخوارج أو المعتزلة»[1].

وقال: «والإرجاء بالمعنى الذين هم يقولون به هو محض السنة، ومن عاد إلى ذلك لابد من أن يقع في مذهب الخوارج أو المعتزلة»[2].

وهذا خلاف الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم**﴾[3].

قال الحليمي: «أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أن الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك فكل طاعة إيمان، إذ لم أعلم فارقاً فرق

---

(١) تعليق الكوثري على كتاب الإنصاف للباقلاني ص ١٢٣.

(٢) التأنيب ص ٦٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

في هذا التسمية بين الصلاة وسائر الطاعات»[1].

والأدلة من السنة كثيرة منها:

قول النبي، صلى الله عليه وسلم، لوفد عبدالقيس: «**أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**»[2].

وحكى هذا غير واحد من أهل العلم، اتفاق السلف على أن الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل غير واحد من أهل العلم: كالشافعي[3]، وأحمد[4]،

---

(١) كتاب المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٣٧٩.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان ١/ ١٢٩ ح ٥٣، ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ١/ ٤٧ ح ٢٤، كلاهما من طريق أبي جمرة عن ابن عباس.

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٨٨٦، ٨٨٧.

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢٢٨.

والبخارى[1]، وابن عبدالبر[2]، والبغوي[3].

قال الإمام أحمد: «أجمع سبعون رجلاً من التابعين، وأئمة المسلمين، وفقهاء الأمصار، على أن السنة التي توفي عليها رسول الله، صلى الله عليه وسلم. . . . وذكر منها: والإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»[4].

وقال البغوي: «اتفقت الصحابة، والتابعون، ومن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان»[5].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «ومعلوم أن هذه الأعمال لا تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب؛ لما قد أخبر في

---

(١) فتح الباري ١/٤٧.

(٢) كتاب التمهيد ٩/٢٣٨.

(٣) شرح السنة ١/٣٨، ٣٩.

(٤) مناقب الإمام أحمد ص ٢٢٨.

(٥) شرح السنة ١/٣٨، ٣٩.

مواضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال، ولم يذكر التصديق؛ للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود»[1].

ب - زيادة الإيمان ونقصانه:

يرى الكوثري أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن العقد الجازم لا يحتمل النقض[1]، والمؤمنون كلهم من جهة الجزم لا يتفاوتون[3].

قال الكوثري: في تعليقه على كتاب: «الإنصاف» للباقلاني عند قوله: «لا يزيد ولا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨١.

(٢) انظر كتاب التأنيب ص ٦٠، ٦٨، ٩٩ وتعليقات الكوثري على كتاب الفرق بين الفرق ص ١٢٣

(٣) كتاب التأنيب ص ٩٩.

ينقص، قال: «لأن العقد الجازم لا يحتمل النقيض»[1].

وقال في موضع آخر: «وأمر زيادة الإيمان في جانب العقد إنما يتصور عند ازدياد المؤمّن به، وذلك ينقضي أو أنه بانقضاء زمن الوحي، إلا فيما من آمن إجمالاً ثم علم التفصيل، أو عند اعتبار تفاوت إيمان المؤمنين تيقناً وتشككاً، لكن الإيمان الشرعي إنما يتحقق عند تحقق الجزم المنافي لتجويز النقيض»[2].

وهذا خلاف الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

قال تعالى: **﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً﴾**[3].

---

(١) تعليق الكوثري على كتاب الإنصاف ١٢٣.

(٢) التأنيب ص ٩٨، وانظر ص ٦٠، ٦٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾[1].

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائكم»[2].

قال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان».

والأدلة من الكتاب والسنة والآثار الواردة عن

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥/ ٦٠)، ح (٤٦٢) كلاهما عن طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال الترمذي على أثره: «هذا حديث حسن صحيح».

السلف في أن الإيمان يزيد وينقص كثيرة جدًّا، وبمناسبة كثرة الأدلة في هذه المسألة وعدم حصرها يقول العلامة ابن أبي العز الحنفي: «والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كبيرة جدًّا»[1].

ويقول العلامة الألوسي: مفتي الحنفية في بغداد: «وما علي إذا خالفت في بعض المسائل مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ للأدلة التي لا تكاد تحصى، فالحق أحق بالاتباع، والتقليد في مثل هذه المسائل من سنن العوام»[2].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٤، ط بشير عيون.

(٢) روح المعاني (٩/١٦٧).

المبحث الثالث

موقف الكوثري من عقيدة السلف

أ ـ موقفه من عقيدة السلف :

السلف هم من نهج منهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب والسنة والعضّ عليها بالنواجذ، وتقديمهما على كل قول وهدى، سواء في العقائد، أو العبادات أو المعاملات، أو الأخلاق، فهم ثابتون في أصول الدين وفروعه على ما جاء في الكتاب والسنة(١)

يرى الكوثري أن هذه العقيدة عقيدة الشرك والـوثنية، وسمى هذه العقيدة: «**الوثنية الخرقاء**»،

---

(١) انظر مكانة أهل الحديث بتصرف ص (١٠) وانظر العقائد السلفية لابن حجر ص

و«الوثنية الأولى» ، و«الوثنية الصريحة» ، و«الوثنية في الإسلام» ، و«الوثنية بعد الإسلام» ، و«الوثنية الملبسة بلباس السنة» ، و«تحذير الأمة من دعاة الوثنية» ، و«منطق البادية والوثنية» . ونحو ذلك[1] .

ب ـ موقفه من الكتب التي قررت عقيدة السلف :

ألَّف السلف من أئمة السنة في تقرير عقيدة الكتاب والسنة والرد على أهل الأهواء والبدع كتباً كثيرة، طبع منها الكثير ولله الحمد، مما زاد الكوثرى حماقة، فأخذ يرمي تلك الكتب بألفاظ سيئة، فهو يقول عن كتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد : «كتاب

---

(١) انظر في ذلك كتاب تبديد الظلام ص (٤١)، (١٥٤)، وتعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٧، ٤٤٣ ـ ٤٤٤، وتعليقات الكوثري على كتاب تبيين كذب المفتري ص (١٨)، وانظر مقالات الكوثري ص (٢٨٧، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٠٦، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٨).

الزيغ والتجسيم والتشبيه». **ويقول كذلك**: «ولعل هذا القدر من النصوص التي سقناها من كتاب السنة يكفي لمعـرفة ما وراء الأكمة، ولا أظن بمسلم نشأ نشأة إسلامية أن يميل لتصديق مثل تلك الأساطير الوثنية»[1].

ويقول عن كتاب « التوحيد » للإمام ابن خزيمة: «ولهذين الكتابين ثالث في مجلد ضخم يسميه مؤلفه ابن خزيمـة كتاب «التوحيد» وهو عند محققي أهل العلم كتاب الشرك، وذلك لما حواه من الاراء الوثنية»[2].

ويقول في التأنيب: «كتاب التوحيد له ـ يعني ابن خزيمة ـ يعده الرازى كتاباً فى الشرك»[3].

---

(١) انظر مقالات الكوثري ص ٣٢٤، ٣٢٠، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٨.

(٢) مقالات الكوثري ٣٣٠.

(٣) التأنيب ص ١٠٨.

وقال عن الإمام ابن خزيمة : «كان الواجب على مثله ألا يخوض في علم الكلام، فتزل له قدم، ومع هذا الجهل ألف كتاب «التوحيد» فأساء إلى نفسه ومن أهل العلم من قال عنه : أنه كتاب الشرك»[1].

ويقول عن كتاب «الرد على الجهمية» للإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي : «وذكر في كتابه «الرد على الجهمية» ما يدل على ما أصيب به عقله . . . فسبحان قاسم العقول يجهل علم الكلام»[2].

ويقول : «ومع ذلك تراه يدخل في مضايق علم أصول الدين مباعداً التفويض والتنزيه»[3].

---

(١) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٢٦٧ .

(٢) تعليق الكوثرى على كتاب الأسماء والصفات ص ٢٦٩ .

(٣) التأنيب ص ١٦٧، ١٦٨ .

وقال عن صاحب كتاب « العرش » للإمام ابن أبي شيبة «ومحمد بن أبي شيبة صاحب كتاب العرش كذاب»[1].

جـ موقفه من أئمة السنة :

قبل أن نبين موقف الكوثري من أئمة السنة لابد أن نعرج على كلامه من الصحابة، والظاهر أن عقيدته في الصحابة عقيدة الماتريدية الموافق لمذهب أهل السنة غير أن الكوثري قد نال من بعض أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، ظلماً وعدواناً وتعصباً لمذهبه.

وإليك بيان ذلك:

---

(١) التأنيب ص ١١٠.

١ ـ طعن في أنس بن مالك بالهرم وعدم الفقه كما في التأنيب[١].

٣٢ ـ طعن في الصحابي الجليل معاوية بن أبي الحكم راوي حديث الجارية بما يأتي:

أ ـ أنه غير فقيه.

ب ـ أنه كان يتكلم في الصلاة.

جـ ـ أنه صاحب طامة روى بالمعنى[٢]

ويذكر الكوثري في أصول الحنفية كون الراوي فقيهاً، فيرد رواية غير الفقيه[٣].

وفي ذلـك إشارة إلى ترك رواية بعض الصحابة كأبي هريرة وأنس بن مالك.

---

(١) التـأنيب ص (١١٧)، الـترحيب ص ٣٣٢، وانظر الرد عليه في طليعة التنكيل ١/٦٥ ـ ٦٦.

(٢) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ٤٢١ ـ ٤٢٣ وكتاب تبديد الظلام ص ٩٤ ـ ٩٦، ومقالات الكوثري ص ٣٤٩.

(٣) التأنيب ص ٢٢٣.

فالحاصل أن الطعن في أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، والتعرض لجنابهم، والنيل منهم يدل على كون الرجل مبتدعاً، وعلى خذلانه.

قال ابن السمعاني: «التعرض إلى جناب الصحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة»(١).

د ـ شتائمه لأئمة السنة:

أقذع الكوثري في الشتائم لأئمة السنة، ورماهم بالشرك والوثنية والتجسيم، وهو سلاح قديم استخدمته الجهمية الأوائل وفيما يلي بعض النماذج.

أولا: **رميه لهم وحكمه عليهم بالوثنية** والشرك والكفر، فقد أطلق عليهم الكلمات التالية:

«الوثنيون»، «الوثنية»، «الحشوية نسب عريق في

---

(١) فتح الباري ٤/ ٣٦٥.

الـوثنية» ، «دعـاة الوثنية» ، «المرضى بداء التجسيم والوثنية» ، «تحذير الأمة من دعاة الوثنية»[1] .

ثانياً: وصفه لهم بالجهالة والحماقة وقلة العقل والدين ، ومن الأمثلة على ذلك قوله : «الطائفة الرذيلة الجهـال» ، الطائفة الذليلة والحقيرة» ، «المتسلفين» ، «الـلامـذهبية» ، «الجهلة الأغـرار» ، «الحشـوية السخفـاء» ، «تخـريف السخفـاء» ، «الغـافلون» ، «الجاهلون» ، «هم بين جاهل مصر على جهله وبين عالم معـاند للحق» ، «عقولهم الضئيلة» ، «وكم من مصاب في عقله ودينه بدون فهم ولا عقل» ، «جمعوا إلى قلة الفهم قلة الدين» ، «مجانين العقلاء» ، «أبعد خلق الله عن النظر والتبصر» ، «الأوباش الرعاع»[2] .

---

(١) مقـالات الكـوثـري ص ٣٣٢ ، ٣٢٧ ، ١٢٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، وتعليقـات الكـوثـري على كتاب الأسماء والصفات ص ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٤١٩ ، ٤٠٧ .

(٢) نظر كتاب تبديد الظلام ص ١٥ ، ٥٥ ، ٥ ، ١٢٢ ، ١٥٤ ، ٤٥ ، ١٧١ ، ١٥١ .

هـ أقواله في شيخ الإسلام ابن تيمية :

كفَّر الكوثري شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث رماه بالزندقة[١] والنفاق[٢] والإلحاد[٣]، والمروق[٤]، والخيانة[٥]، والمكر[٦]، والمغالطة المفضوحة[٧]، والمغالطة المكشوفة[٨]، والبراعة في التمويه[٩]، والتلبيس[١٠]، والبهتان على السلف[١١]، والإفك على

(١) كتاب الظلام للكوثري ص ٨١، مقدمة الكوثري للرسائل السبكية ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) كتاب الظلام للكوثري ص ٨١، مقدمة الرسائل السبكية ص ٣٤ .

(٣) مقالات الكوثري ص ٣٢٠، كتاب الظلام ص ٧٤ .

(٤) كتاب الظلام ص ٥، مقدمة الرسائل السبكية ص ٥٢ .

(٥) التأنيب ص ١٠٩، وكتاب الظلام ص ٨٠، ٩١ .

(٦) مقدمة الكوثري للرسائل السبكية ص ٤٦ .

(٧) مقدمة الكوثري للرسائل السبكية ص ١٢ .

(٨) كتاب الظلام ص ٥٠ .

(٩) تعليقات الكوثري على ذيول تذكرة الحفاظ ص ١٨٨ .

(١٠) كتاب الظلام ص ٨٠، ١٤٠، ومقدمته للرسائل السبكية ص ٢١ .

(١١) مقدمة الكوثري على الرسائل السبكية ص ٥٠، ٥٥، ٦٥ .

السلف [1]، والكذب الصريح والتقول القبيح [2]، وتلفيق الروايات [3]، وقلة الدين والعقل [4]، والإحداث في أصول العقائد [5] إلى غير ذلك من العبارات الذميمة.

و ـ أقواله في الإمام ابن القيم :

وكذا رمى ابن القيم بالكفر[6]، والزندقة المكشوفة[7]، والمروق الظاهر[8]، والإلحاد[9]، وفتح

---

(١) مقدمة الكوثري على الرسائل السبكية ص ٥٤، ٦٠.

(٢) كتاب الظلام ص ٥٠، ٦٣، ٨٢، ١٤٠، ١٤٣.

(٣) كتاب الظلام ص ٥٠، ٦٣، ٨٢، ١٤٠، ١٤٣.

(٤) كتاب الظلام ص ٩٣.

(٥) كتاب الظلام ص ١٦، ٨١، ١٠٥، ١١٦.

(٦) كتاب الظلام ص ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٦٦، ١٧٠.

(٧) كتاب الظلام ص ١٨٢.

(٨) كتاب الظلام ص ١٨٢.

(٩) كتاب الظلام ص ٥٥، ٧٤.

باب الزندقة[1]، ونقض الشريعة[2]، والانحلال من الدين ، والانسلاخ من التكاليف[3] وغير ذلك من الألقاب والألفاظ الشنيعة.

ز ـ موقفه من الجعد بن درهم والجهم بن صفوان إمامي التعطيل :

دافع الكوثري عن الجهم بن صفوان، والجعد بن درهم، وناصرهما بل تهالك في الدفاع عنهما **فهو يقول في الدفاع عن جهم بن صفوان** : «وتنسب لجهم آراء، وليس له فرقة تنتمي إليه بعده، ونسبه غالب من نسب إليه من قبيل النبذ بالألقاب تهويلاً لسمعة الرجل بين الفرق، وآراؤه توزعت بينهم بعد تمحيصها على حسب أنظارهم لا على ما ارتآه جهم شأن كل

(١) كتاب الظلام ص ٥٥ .

(٢) كتاب الظلام ص ٥٥ .

(٣) كتاب الظلام ص ٤٧ .

رأي يشيع في الناس»[1].

ويقول عن خالد بن عبدالله القسري الذي ضحى بالجعد بن درهم: «إنه ذبح الجعد بن درهم يوم عيد الأضحى أضحية عنه.. وما كان العلماء ليسكتوا أمام استخفافه بشعيرة من شعائر الدين»[2].

ح - نماذج لتحريفات الكوثري لكلام أئمة السلف:

لا يعرف شخص من أهل البدع أكثر خيانة، وأوضح تحريفاً للنصوص الصحيحة، وأشنع تحريفاً للعقائد الإسلامية، وشتماً وسبّاً لأهل السنة، مثل هذا الكوثري وإليك بعض النماذج من تحريفاته الواضحة الفاضحة:

---

(١) مقدمة الكوثري لتبيين كذب المفتري ص ١٢.

(٢) التأنيب ص ٩١.

١ ـ لقد صرح الإمام أبو حنيفة بعلو الله على عرشه، وفوقيته على عباده، وصرح بتكفير من شك في ذلك، ولكن الكوثري حرف كلام الإمام أبي حنيفة أشنع تحريف[١].

٢ ـ صرح الإمام أبو حنيفة وصاحباه أن القرآن كلام الله، وأن من قال هو مخلوق فهو كافر، ولكن الكوثري حرف نصوصهم إلى الكلام النفسي[٢]، وكذا حمل كلام الإمام أحمد في هذه المسألة على الكلام النفسي، وهذا تحريف لأن بدعة الكلام النفسي لم تكن موجودة في ذلك الوقت وأول من أحدثها ابن الكلاب بعد فتنة القول بخلق القرآن والله المستعان.

٣ ـ صرح كثير من أئمة الإسلام بإثبات

---

(١) انظر نص أبي حنيفة الواضح الصريح وتحريف الكوثري له في تعليقه على كتاب الفقه الأبسط لأبي حنيفة ص ٤٩ ـ ٥٢.

(٢) مقالات الكوثري ص ٢٧ والترحيب ص ٣٠١.

الصفات بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تأويل، وأنها لا تفسر بتفسير الجهمية وتأويلاتهم منهم الإمام محمد بن الحسن، والإمام أحمد وغيرهم، ولكن الكوثري حرف نصوصهم إلى التفويض[1].

٤ - **نصوص الأئمة الأربعة خاصة،** ونصوص السلف عامة صريحة في إثبات فوقية الله تعالى على عباده، وعلوه على عرشه، ولكن الكوثري حرف نصوصهم، وصرح أن إثبات العلو كفر عند الأئمة الأربعة[2].

وللكوثري تحريفات أخرى كثيرة، ذكر بعضها العلامة عبدالرحمن المعلمي في طليعة التنكيل[3].

---

(١) بلوغ الأماني ص ٥٣ - ٥٤، وكتاب تبديد الظلام ص ٥٣، ١٣٦، ١٧١.

(٢) مقالات الكوثري ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٣) ص ٤٨ - ٥١.

المبحث الرابع

المقارنة

بين
عقيدة الإمام أبي حنيفة
والأستاذ الكوثري
في
التوحيد والإيمان

١ - لم يعرف عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه الأوائل تأويل الصفات، بل صرح أبو حنيفة أن تأويل الصفات إبطال لها، وهو مذهب المعتزلة فقد قال: «ولا يقال إن يده: قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال»(١).

فاعتبر تأويل صفة اليد بالقدرة أو النعمة يؤدي

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.

إلى **تعطيل النصوص** الدالة على هذه الصفة عن دلالتها على المعنى المسوقة لأجله، فإذا حملت على خلاف ذلك بتأويلها كان ذلك نفياً للمعنى الذي جاءت لأجله وإثباتاً لمعنى آخر لم تدل عليه النصوص لا نصّاً ولا ظاهراً، **ومن هنا فلا داعي لتأويل هذه الصفة وغيرها** بصرفها عن ظاهرها، وهكذا كان الإمام أبو حنيفة ملتزماً بمنهجه أثناء التطبيق؛ فأبى أن يؤول اليد بالقدرة أو النعمة، والرضا بالثواب[1]، والغضب بالعقاب[2]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد صرح الإمام أبو حنيفة أن تأويل الصفات كذلك خارج عن مذهب أهل السنة والجماعة، بل هو مذهب المعتزلة دل على ذلك قوله: «وهو مذهب أهل القدر والاعتزال»؟[3] وخالفه الكوثري فجاهر بتلك

---

(١) الفقه الأبسط ص ٥٦.

(٢) الفقه الأبسط ص ٥٦.

(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.

التـأويلات[1] التي هي تعـطيل للصفات، وتحريف لنصوصها فخرج عن مذهب السلف.

٢ ـ إن الإمـام أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ قد أثبت علو الله على خلقه، وصرح بتكفير من أنكر علو الله تعالى[2] أو شك فيه.

ونفى الكوثري صفات علو الله ـ تعالى ـ على خلقه وفوقيته على عباده؛ فهو يعتقد أن الله لا داخل العالم ولا خارجه[3]، وحرف نصوص صفة العلو إلى علو العظمة والعزة، وعلو القهر والغلبة أو علو الشأن[4].

٣ ـ يثبت الإمـام أبـو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ استواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه، على ما يليق

---

(١) تقدم ذكر تلك التأويلات في ثنايا الكتاب فارجع إليه.

(٢) الفقه الأبسط ص ٤٩ ـ ٥٢.

(٣) كتاب تبديد الظلام ص ٣٥، ٧٨.

(٤) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٦، وتبديد الظلام ص ٧٨، ٣٥.

بجلاله وعظمته، دل على هذا قوله: «ونقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة»[1].

وقال الملا علي قاري بعدما ذكر قول الإمام مالك: «الاستواء معلوم والكيف مجهول» قال: «اختاره إمامنا الأعظم، وكذا كل ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهات من ذكر اليد والعين والوجه ونحوها من الصفات»[2].

وعطل الكوثري صفة الاستواء وحرف نصوصها إلى الغلبة والقهر[3]، ولا يكتفي بذلك، بل يحرف مقالة الإمام مالك المشهورة في الاستواء[4].

---

(١) شرح الوصية ص ١٠.

(٢) شرح الأمالي ص ٣١.

(٣) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦، وكتاب تبديد الظلام ص ١١١ ـ ١١٢.

(٤) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦، وكتاب تبديد الظلام ص ١١١ ـ ١١٢.

٤ ـ يصرح الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ بإثبات صفة النزول لله تعالى إلى السماء الدنيا بلا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل، فيقول: «ينزل بلا كيف»[١]، بل إن بعض الحنفية القدماء كفروا من عطل صفة واحدة من الصفات[٢].

وعطل الكوثري صفة النزول وحرف نصوصها إلى نزول الملك أو بنزول أمره[٣] ويحرف حديث النزول إن لفظ الحديث «يُنْزِل»[٤].

٥ ـ يثبت الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ يدين حقيقتين لله تعالى تليقان به تعالى لا تشبهها أيدي المخلوقين يدل على هذا قوله: «وله يد ووجه، كما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد فهو له

---

(١) اعتقاد السلف أصحاب الحديث ص ٤٢، وجلاء العينين ص ٣٥٣.

(٢) اعتقاد السلف أصحاب الحديث ص ٤٩.

(٣) كتاب تبديد الظلام ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٤) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

صفـات بلا كيف»[1]. وقال كذلك: «يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه»[2].

وعطل الكوثري صفة اليدين، وحرف نصوصها إلى القدرة[3] والعناية[4].

٦ - صرح الإمام أبو حنيفة أن القرآن منزل غير مخلوق فقال: «والقرآن غير مخلوق»[5].

وقال: «ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق»[6].

قال الكـوثري: «إن القرآن مخلوق، وصرح بأنه **ليس بينه وبين المعتزلة خلاف في كون القرآن مخلوقاً**»[7].

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.

(٢) الفقه الأبسط ص ٥٦.

(٣) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٣١٤.

(٤) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٣١٧.

(٥) الفقه الأكبر ص ٣٠١.

(٦) شرح وصية الإمام أبي حنيفة ص ١٠.

(٧) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٢٥١.

٧ - لم يعـرف عن الإمـام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - القول بالكلام النفسي، بل لا يمكن أن يكون ذلـك قولـه، لأن أول من أحـدث القـول بالكلام النفسي هو ابن كلاب في عصر الإمام أحمد بن حنبل.

وعطل الكوثري صفة الكلام وصرف نصوصها إلى الكلام النفسي[1] فقال: «الكلام: هو الكلام النفسي»[2].

٨ - صرح الإمـام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - بسماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى: ﴿وكلَّم الله موسى تكليماً﴾[3]. «وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعـالى كما قال الله تعـالى: **﴿وكلَّم الله موسى تكليـماً﴾**. وقـد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كلم

---

(١) نظر التأنيب ص ٩٦ - ٩٧، ١٠٧، ومقدمة كتاب تبيين كذب المفتري ص ١٥.

(٢) التأنيب ص ٩٦ - ٩٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

موسى عليه السلام»[1].

لكن الكوثري لا يرى جواز سماع كلام الله تعالى ؛ لأن كلامه تعالى عنده ليس بحرف ولا بصوت، بل هو كلام نفسي[2].

٩ - جاء عن الإمام أبي حنيفة وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر: كالدعاء والاستعانة بغير الله[3]، والسجود لغير الله[4]، والنذر لغير الله[5]، والذبح لغير الله[6]، واعتقاد أن الأولياء لهم تصرف في الكون مع الله[7]، أو اعتقاد أن أحداً

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.

(٢) تعليقات الكوثري على كتاب الإنصاف للباقلاني ص ٩٥.

(٣) انظر روح المعاني ١١/٩٨، ٦/١٢٩.

(٤) انظر البحر الرائق ٥/١٢٤، وروح المعاني ١٧/٢١٣، والمرقاة شرح المشكاة ٢/٢٠٢.

(٥) انظر حاشية ابن عابدين ٢/٤٣٩ - ٤٤٠ والبحر الرائق ٢/٢٩٨.

(٦) تحفة الفقهاء ٣/٦٧.

(٧) البحر الرائق ٢/٢٩٨.

يعلم الغيب[1]، والحلف بغير الله[2]

واعتنق الكوثري بعض الخرافات القبورية والبدع الشركية، فرأى جواز الاستغاثة بالأموات من استنزال الخيرات، واستدفاع الملمات[3]، وأن لتلك الأرواح آثارًا في أحوال هذا العالم، فهي المدبرات أمرًا[4]، وأن زيارة مراقد الأولياء معدة بفيضان انوار كثيرة منهم على الزائرين، كما يشاهدها أهل البصائر[5]، وأن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء، وانكشف لها عالم الغيب، **ورأى جواز بناء المساجد على القبور**، وأنه أمر متوارث، وكذا يجوز عنده الصلاة في مسجد فيه قبر رجل صالح بقصد التبرك بآثاره،

---

(١) الفتاوى الهندية ٦/٣٢٣ - ٣٢٦، والبحر الرائق ٣/٨٨، ٥/١٢٤.

(٢) البحر الرائق ٥/١٢٤.

(٣) كتاب تبديد الظلام ص ١٦٢، ومقالات الكوثري ص ٣٨٥.

(٤) كتاب تبديد الظلام ص ٦٢.

(٥) كتاب تبديد الظلام ص ١٦٢، ومقالات الكوثري ص ٣٨٦.

وإجابة الدعاء هناك، وجوز زيارة القبور للبركة بها والدعاء عندها، فيستجاب لهم[1]، ويجوز عنده إيقاد السرج والشموع على القبور تعظيماً لروح الولي المشرقة على تراب جسده كإشراق الشمس على الأرض، إعلاماً للناس أنه ولي، ليتبركوا به، ويدعوا عنده فيستجاب لهم[2].

١٠ ـ جاء في كلام الإمام أبي حنيفة التوسل المشروع وهو الذي قام على جوازه الدليل من الشرع كما في قوله: «ولا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون**﴾[3]. . . .»[4].

---

(١) مقالات الكوثري ص ١٥٦ ـ ١٥٨.

(٢) مقالات الكوثري ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) الدر المختار ٦/٣٩٦، ٣٩٧.

وجاء في كلامه النهي عن التوسل غير المشروع وهو ما لا دليل عليه من كتاب أو سنة، فقد قال: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك»[1].

وقال: «يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام»[2].

والتوسل عند الكوثري في اللغة والشرع هو التوسل بذات الولي وشخصه في حضوره، وغيبته، وبعد موته[3]، فهم يسمعون النداء بعد الموت[4]،

---

(١) شرح الفقه الأكبر ص ١٩٨.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٤، إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٨٥، شرح الفقه الأكبر ص ١٩٨.

(٣) مقالات الكوثري ص ٣٧٨ - ٣٧٩، ٣٨٦.

(٤) مقالات الكوثري ص ٣٨٠.

وأن التوسل بدعاء الحي وطلب الدعاء من المتوسل به ليس من التوسل لا في اللغة ولا في الشرع[1]، وجوز نداء الرسول، صلى الله عليه وسلم، بعد موته لتفريج الكربات[2]، وأن الفرق في التوسل بالنبي، صلى الله عليه وسلم، في حياته وبعد مماته مأخوذ من اليهود[3].

١١ ـ الإيمان عند الإمام أبي حنيفة: تصديق وإقرار، فقد جعل الإقرار باللسان ركناً من الإيمان[4].

أما الكوثري فالإيمان عنده هو العقد الجازم[5]،

---

(١) مقالات الكوثري ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩، ٣٨٦.

(٢) مقالات الكوثري ص ٣٨٩ ـ ٣٩١.

(٣) كتاب الظلام ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢ بتعليق الألباني.

(٥) التأنيب ص ٦٠، ٦٦.

والأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان[1]، وهو بهذا موافق الإمام أبا حنيفة، لكنه خالفه في جعل الإقرار خارجاً عن الإيمان.

١٢ - الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - يعظم علماء السلف، ولا يؤذيهم بسب أو غمز أو لمز، قال - رحمه الله تعالى -: «يجيب عطاء بن رباح لما سأله من أي الأصناف أنت؟ فأجاب: أنا ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحداً بذنب، فقال له عطاء: عرفت فالزم»[2].

وتناول الكوثري السلف بالإيذاء وقد تقدمت أقواله في موقفه من أئمة السلف، فارجع إليها.

وبعد هذا العرض نصل إلى نتيجة واقعية وهي أنه ليس كل من انتسب للإمام أبي حنيفة يعد موافقاً له في الاعتقاد.

(١) التأنيب ص ٦٠، وتعليقات الكوثري على كتاب التنبيه ص ٤٨، والفرق بين الفرق ص ١٢٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣١.

الخاتمـــة

بعـد عرض عقيدة الكوثري في التوحيد والإيمان وبيان موقفـه من عقيدة السلف وأئمة السنة **نخلص إلى النتائج التالية:**

١ـ لم يسلك الكوثري في العقيدة **مسلك الوحي ولم ينهج نهجه**؛ لأنه يتأول الآية على خلاف ظاهرها. والقول بالتأويل يعتبر محاولة لتكييف الصفة على نحو ما غير ظاهر، بينما كان منهج القرآن والسنة هو إثبات وجود الصفة كما وردت لا إثبات كيفيتها، لأن الكيف هو التـأويل الذي لا يعلمه إلا الله، فترك الوحي، واتبـاع الرأي، والتأويلات الفاسدة، عزل للكتاب والسنة كمصدرين للهداية في واقع الحياة، وليس بعد الهداية إلا الغواية، قال تعالى: ﴿**فماذا بعد الحق إلا الضلال**﴾.

٢ـ أن الكوثري لم يفهم من نصوص الصفات الشرعية إلا ما يليق بالمخلوقين، وهذا خلاف ما فطر الله عليه العباد من أنه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن ذاته لا تشبه سائر الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه سائر الصفات.

٣ـ أن اتهام الكوثري لأهل السنة بالتجسيم هو اتهام باطل، شنيع، ويلزم منه القول بأن الله تعالى أنزل لعباده نصوصاً في القرآن، يحرم الأخذ بظاهرها دون أن يرشدهم إلى تحريم ذلك، ودون أن يعرف رسوله والمؤمنين **كيف يفسرون هذه النصوص**، وكيف يفهمون معانيها الحقيقية، وذلك لأننا لا نجد في القرآن والسنة ما يحرم الأخذ بالظاهر، أو يوجب التأويل الكلامي.

وهذه اللوازم التي يدعونها لا تلزمنا نحن، وإنما

تلزم من أخبرنا بهذه الأسماء والصفات، وهو الله ورسوله، فهل يجرءون على رمي الله ورسوله بما يرموننا به، **سبحانك هذا بهتان عظيم!**

٤ ـ **أن الغلو في الأشخاص** أو في المذاهب يؤدي إلى التعصب والبعد عن الجادة الصحيحة والصراط المستقيم، والعصبية المذهبية ليست بمحمودة، بل هي مذمومة في الدين، والغلو في الأعمال من أكبر عوامل الابتداع في الدين.

٥ ـ **أن الكوثري رمى غيره ـ وهم براء ـ بالوثنية** وبما هو فيه؛ فهو يدعو إلى الخرافات القبورية والبدع الشركية: كالاستعانة بالأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات، وأن تلك الأرواح لها آثار في أحوال هذا العالم، فهي المدبرات أمراً، وأن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء عنها وانكشف لها عالم الغيب، وما هذا إلا دعوة صريحة إلى الشرك والوثنية.

٦- أن دفاع الكوثري عن الإرجاء ودعوته إلى اعتقاده قول خطير، إذ أن الإرجاء من أخطر المذاهب لأنه انحراف في الإيمان الذي تبنى عليه الشريعة بأقوالها وأفعالها.

وللأسف كان لدعوة الكوثري وغيره للإرجاء أثر ملموس؛ فقد بدأت تتسرب هذه المعتقدات الإرجائية الفاسدة إلى بعض المجتمعات والتجمعات الإسلامية.

ولهذا ينادي بعض الخيرين الأفاضل بالسكوت عنها وعدم كشفها، للتفرغ للعدو المشترك الخارجي، بل وادعاء بعضهم أن عقائد المرجئة والجهمية انقرضت في هذا الزمان وهذا خلاف الحقيقة ومجانب للصواب.

فلابد من مقاومة هذه المعتقدات بكشفها للناس والتحذير منها، والرد على أهلها، والله المستعان.

٧ـ تطاول الكوثري على علماء الأمة وأئمة السنة بالإيذاء، وقد حرم الله سبحانه وتعالى أن يؤذي المؤمن أخاه المؤمن بسب أو شتم أو غيبة أو همز ولمز، فقال تعالى: ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾(١) فتوعد الله الهماز الذي يعير الناس، ويطعن عليهم بالإشارة، وكذا اللماز الذي يعيبهم بقوله(١) بالويل وهو واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار وقيحهم(٢)، فمن آذى المؤمنين فقد أثم إثماً مبيناً.

قال تعالى: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾(٣). فالوعيد الشديد والإثم الأكيد في حق من يؤذي أحداً من المؤمنين عموماً بسب أو شتم ونحو ذلك فكيف بأذية علماء الأمة وأئمة السنة فالإثم أبلغ، والجرم أعظم.

٨ـ المقارنة بين الإمام أبي حنيفة والكوثري في

التوحيد والإيمان أظهرت أنهما مختلفان في غالب مسائل الاعتقاد.

وفي الختام أقول:

إن مقتضى كلام الفلاسفة أن الرب عدم محض ليس له اسم ولا صفة، وغلاة الصوفية جعلوا الرب - عز وجل - جعلوه عين كل شيء، فهو كل كائن، حتى فرعون، وإبليس هو الله، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً، ومقتضى مقالات أهل الكلام أن الرب تارة موجود وتارة معدوم، فبعضهم يثبت له صفات ينفيها آخرون، وتارة يثبت له بعضهم صفات وجود ثم يعود فينفيها، وهكذا فهم مختلفون في مقالاتهم، ومتناقضون، وكلهم يدعي أن صريح العقل معه، **والصواب** الذي عليه أهل الحق أن النصوص الشرعية لم تأت بمحالات العقول، إنما أتت بمحارات العقول، فالعقول قد تتحير في تفسير

شيء، لكنها لا تحيله، ولا يمكن وجود تناقض بين صحيح النقل وصريح العقل، والواجب على العاقل أن يقف عند حدود ما ورد في القرآن والسنة، ولا يزيد عليهما، فذلك هو طريق السلامة والهدى.

ثم لقد آن الأوان أن ينبذ المسلمون علم الكلام وراء ظهورهم، فلم يتعبدهم الله به، ولم نره يوماً كان سببًا في هداية ضال أو تعليم جاهل، بل هو الجهل والضلال بعينه، وهو خلاف الطريق التي أرشدنا الله إليها ورسوله، وطريقة مبتدعة لتعليم العقيدة، وكذلك لب العقيدة على طريقة المتكلمين مشحون بالضلالات، ولم يتعبدنا رب العباد بمذهب النسفي أو الإيجي أو الآمدي أو الكوثري، بل بما ورد في الكتاب والسنة، آن الأوان لترجع العقيدة غضة طرية كسالف عهدها، حينئذ فقط تنصلح أحوال المسلمين، وما أجدرنا أن ندعو الله حينئذ فيستجيب لنا.

والله أسـأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكـريم، ويوفقنا جميعاً للاهتداء بكتابه والسير على سنـة رسـوله، صلى الله عليه وسلم، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم والوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

صدر حديثاً عن دار الفتح

الكتاب	المؤلف
١- بغية القاصدين من كتاب مدارج السالكين - مجلد	عبد الله السبت
٢- صوفيات شيخ الأزهر	عبد اللّه السبت
٣- الرحمن على العرش استوى	عبد اللّه السبت
٤- المرأة المسلمة بين الاصالة والتقليد	عبد اللّه السبت
٥- صلاة الجماعة	عبد اللّه السبت
٦- الإسبال	عبد اللّه السبت
٧- الأخلاق والسير في مداواة النفوس	ابن حزم
٨- جوامع السيرة النبوية	ابن حزم
٩- الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد .	عبد الله بن جار الله
١٠- رسالة الى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين	عبد الله بن جار الله
١١- محاسن الصدق ومساوئ الكذب	عبد الله بن جار الله
١٢- خطر الجريمة الخلقية	عبد الله بن جار الله
١٣- نظرات في صفة الغرباء	صلاح الدين مقبول
١٤- العواصم من تلبيس ابليس على المتعلم والمتعلم	ابن الجوزي
١٥- أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين	حافظ ثناء الله الزاهدي
١٦- تفسير المعوذتين	ابن تيمية
١٧- الرسالة المدنية	ابن تيمية
١٨- الرسالة العرشية	ابن تيمية
١٩- تنبيهات على كتاب محمد عادل عزيزة في الصفات	دكتور عبد الرزاق العباد
٢٠- التحقيق والكشف والإيراد في بيان أخطاء الحداد	صالح السندى
٢١- إعتقاد الأئمة الأربعة	د: محمد الخميس
٢٢- البدعة وأثرها السيئ	د: على ناصر الفقيهي
٢٣- الولاء والبراء في الإسلام	صالح بن فوزان
٢٤- الحيدة (المناظرة الكبرى بين أهل السنة والفرق الضالة)	الإمام الكتاني
٢٥- ذم التأويل	ابن قدامة المقدسي

صدر حديثاً عن دار الفتح

الكتاب	المؤلف
٢٦ـ صفات التابعين	عبد الملك الكليب
٢٧ـ عقيدة السلف أصحاب الحديث	الإمام الصابوني
٢٨ـ الفوائد الربوية	اللجنة الدائمة للبحوث
٢٩ـ تطهير الجنان والأركان	أحمد حجر آل بطامي
٣٠ـ أهوال يوم القيامة	عبدالملك الكليب
٣١ـ الفرق بين النصيحة والتعيير	ابن رجب الحنبلي
٣٢ـ صفة الجنة	شريدة المعوشرجي
٣٣ـ آيات الأسماء والصفات	الامين الشنقيطي
٣٤ـ اللحية لماذا ؟	محمد أحمد اسماعيل
٣٥ـ حقوق الراعي والرعيّة	محمد صالح العثيمين
٣٦ـ كيف نفهم القرآن	محمد جميل زينو
٣٧ـ أركان الإسلام والإيمان	محمد جميل زينو
٣٨ـ توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع	محمد جميل زينو
٣٩ـ الشمائل المحمدية	محمد جميل زينو
٤٠ـ نصيحة مهمة في ثلاث قضايا	مجموعة من العلماء
٤١ـ معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة	عبد السلام بن برجس
٤٢ـ صفة وضوء النبي ﷺ	فهد عبد الرحمن
٤٣ـ ذم من لا يعمل بعلمه	ابن عساكر
٤٤ـ ذم قرناء السوء	ابن عساكر
٤٥ـ رسالة تعظيم قدر الصلاة	جمع أحمد فريد
٤٦ـ القول المفيد في أدلّة الاجتهاد والتقليد	الإمام الشوكاني
٤٧ـ كنت قبورياً	عبد المنعم الجداوي
٤٨ـ الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن	صالح آل الشيخ
٤٩ـ الدعاء	عبد الله الخضري